مجلة الحكمة للدراسات والأبحاث المجلد 03 العدد 03 (13) 2023/09/30
ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

أهمية المراكز التجارية في العلاقات الاقتصادية بين بلاد المغرب وبلاد السودان.

عبد العالي المبطول [1]*
[1]باحث في سلك الدكتوراه، مختبر التاريخ والتراث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب.
abdelali.elmebtou@uit.ac.ma
د. حميد الفاتحي[2]
[2]كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب.
hamid.elfatihi@uit.ac.ma

تاريخ الارسال : 2023/07/03 تاريخ القبول: 2023/08/15

ملخص:

أدى ارتباط شمال أفريقيا وأفريقيا جنوب الصحراء بصلات متعددة الجوانب منذ فترات تاريخية جد قديمة إلى تحول الصحراء الكبرى الفاصلة بينهما إلى جسر ربط بين هذين المجالين الجغرافيين، هذه العلاقات التي ستزدهر وتتطور بشكل كبير خلال العصر الوسيط خاصة العلاقات الاقتصادية وذلك بفضل بروز العديد من المدن على حافتي الصحراء الشمالية والجنوبية والتي ستتحول إلى مراكز تجارية ساعدت كل المتدخلين في المبادلات التجارية بين بلاد المغرب وبلاد السودان خلال العصر الوسيط، وقد كان بروز هذه المراكز بفضل عدة عوامل منها ما هو جغرافي وما هو اقتصادي وأيضا ما هو سياسي وأمني.

الكلمات المفتاحية: بلاد المغرب – بلاد السودان – المراكز التجارية – العلاقات الاقتصادية.

* **المؤلف المرسل:** عبد العالي المبطول، **الايميل:** abdelali.elmebtoul@uit.ac.ma

مقدمة:

تمتد جذور العلاقات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بين شمال افريقيا وأفريقيا جنوب الصحراء إلى أكثر من ألفي سنة (عبد الرحمان قدوري، ديسمبر 2015، ص 42)، وتعتبر فترة العصر الوسيط مرحلة هامة في تاريخ هذه العلاقات في مختلف المجالات، غير أن العلاقات الاقتصادية والتجارية خاصة كانت الأكثر نشاطا نظرا لتكامل المجالين اقتصاديا وموقعهما جغرافيا على أطراف الصحراء الكبرى التي يبدوا أنها لم تشكل عائقا أمام تواصل المجالين (الحسين عماري، 2009، ص 12)، بل كانت بمثابة جسر عبرت من خلاله القوافل المحملة البضائع والمنتجات كما حصل عبره تواصل حضاري وثقافي بين شعوب هذه المناطق، وقد كانت أولى خطوات الاتصال بين ضفتي الصحراء هي التجارة الصحراوية (هشام بلمسحة، أكتوبر 2020، ص 29) التي اعتبرت بمثابة جسر مرت عبره البضائع والأفكار والمعتقدات وذلك من خلال تواجد العديد من المراكز التجارية، وعموما تم التواصل بين سكان البحر الأبيض المتوسط بصفة عامة وبين أفريقيا جنوب الصحراء عبر ممرين الأول بحري من خلال المحيط الأطلنطي والثاني بري من خلال الصحراء التي عزلت شمال القارة عن جنوبها من الألف الثالثة قبل الميلاد Desanges Jehan, 3e trimestre 1975, p. 393

وفي هذا الصدد عرفت ضفتي الصحراء الكبرى خلال العصر الوسيط في كل من بلاد المغرب شمالا وبلاد السودان جنوبا ظهور العديد من المدن التي تحولت إلى مراكز تجارية هامة تحكمت في عصب التجارة الصحراوية بفضل عوامل عديدة سنأتي على ذكرها في محاور هذه الدراسة، ولعل من أهم هذه المدن نجد كل من سجلماسة وتاهرت وغدامس وأودغشت وتنبكتو وغيرها من المدن الأخرى، ومن هنا جاء موضوع مقالنا هذا الذي سنحاول من خلاله البحث عن دور هذه المراكز التجارية المنتشرة على ضفتي الصحراء الكبرى خاصة في قسمها الغربي في تنشيط العلاقات الاقتصادية بين بلاد المغرب وبلاد السودان ومدى أهميتها، وكذا البحث عن العوامل التي ساعدت على ازدهار بعض هذه المراكز خلال العصر الوسيط.

أولا: لمحة تاريخية عن العلاقات التجارية بين الغرب الاسلامي وبلاد السودان.

ترجع العلاقات التجارية بين شمال الصحراء الكبرى وجنوبها إلى فترات قديمة جدا من التاريخ كما أشرنا إلى ذلك سلفا، إذ منذ الألف الأخير قبل الميلاد لم يعد التبادل التجاري محصورا في نطاق القارة الداخلي بل توسعت في اتجاه البحر الأبيض المتوسط بفضل مساهمة كل من الفينيقيين والاغريق وكذا الرومان في هذه المبادلات (إبراهيم محمد أحمد بلولة، فبراير 2005، ص 67)، وقبيل الفتح الاسلامي للمنطقة قادت مملكة غانة التي تأسست في غرب الصحراء الكبرى تلك العلاقات ليتولى بعدها سكان بلاد المغرب تنظيم هذه المبادلات بعد الفتح الإسلامي لها.

بعد الفتح الاسلامي لشمال افريقيا عملت الإمارات المستقلة عن الخلافة المشرقية التي ظهرت بالمنطقة على ربط علاقات تجارية مع بلاد السودان بهدف توطيد دعائم حكمها وتحسين مداخيل خزائنها مستغلة موقعها الجغرافي المحاذي للصحراء الافريقية، إذ تميزت الفترة الممتدة من القرن السابع حتى القرن الحادي عشر ميلادي بأهمية بالغة حيث ربطت خلالها عدة قنوات للتواصل بين هذين المجالين الجغرافيين المتصلين بالصحراء (جان دفيس، 1997، ص 404)، وهنا نجد أن المدراريين عملوا على استغلال موقع عاصمتهم سجلماسة باعتبارها الملتقى الرئيسي لتجار المغرب والمشرق نحو بلاد السودان (أحمد عزاوي، 2012، ص 12)، وبالتالي الاستفادة من القوافل التجارية المارة منها لربط علاقات تجارية معها، كما لعبت الأسرة الإباضية الرستمية في تاهرت دور الوساطة بين بلاد شمال الصحراء وجنوبها مستفيدة من هذه المدينة الرابطة بين بلاد السودان ومدن الغرب الإسلامي (خالد بلعربي، 2011، ص 2).

وبعد استقرار الفاطميين في بلاد المغرب سيستمر النشاط التجاري بين ضفتي الصحراء الذي وجد دعما من طرف الدولة الفاطمية مما يؤكد مدى أهمية هذا النشاط بالنسبة للفاطميين ودليلا على وجود علاقات اقتصادية بين الفاطميين وبلاد السودان، حيث أصبحت سجلماسة بفضل هذه العلاقات مستقرا تجاريا هاما للتجار العرب خاصة العراقيين منهم الذين مارسوا التجارة مع بلاد السودان (خالد بلعربي، 2011، ص 2).

أما المرابطين فقد استفادوا من انتشار صنهاجة في الصحراء لتنشيط العلاقات بينهم وبين بلاد السودان وتقوية النشاط التجاري الذي استمر حتى بعد مجيء الموحدين والمرينيين (خالد بلعربي، 2011، ص 2)،

إذ أن الحركة التجارية لم تنقطع خلال هذه الفترة وكانت مادتا الذهب والعبيد أهم سلعة تصل إلى بلاد المغرب من السودان وساهم في عملية التبادل التجاري كل من التجار المغاربة والسودانيين (أحمد عزاوي، 2012، ص 147).

يتبين من خلال هذه الاطلالة السريعة أن العلاقات الاقتصادية بين الغرب الاسلامي وبلاد السودان تعود إلى العصر القديم لكنها تقوت وازدهرت خلال العصر الوسيط حيث تقوت وتركت ما يشهد عليها منذ القرن العاشر ميلادي (جان دفيس، 1997، ص 409)، وقد أدت المراكز التجارية المنتشرة على ضفتي الصحراء الكبرى أدوارا بارزة ساهمت في ازدهار هذه العلاقات، لذا نتساءل عما هي أهم هذه المراكز التجارية؟ وما العوامل التي أدت إلى ازدهارها خلال العصر الوسيط؟

ثانيا: نماذج من المراكز التجارية بكل من الغرب الاسلامي وبلاد السودان.

رغم وجود الصحراء الكبرى الفاصلة بين الغرب الاسلامي وبلاد السودان إلا أنها لم تشكل أبدا عائقا يمنع الاتصال بين ضفتيها بل كانت صلة وصل بين المجالين ولعبت خلالها المراكز التجارية المنتشرة على أطرافها دور الموانئ بالنسبة للقوافل التجارية العابرة للصحراء إن صح التعبير، كما كانت هذه المراكز أسواقا تجارية استقطبت تجار شمال الصحراء وجنوبها وأبرمت فيها صفقات تجارية مهمة، واعتبرت محطات سمحت للقوافل التجارية بالاستراحة والخضوع لتنظيم محكم استعدادا لعبور الصحراء، وتزود منها التجار بالمواد ومختلف المؤن والمنتجات التجارية المختلفة لإعادة توزيعها وترويجها كما شكلت سوقا استهلاكية للبضائع التي يصدرها السودان الغربي (الحسين عماري، شتنبر 2010، ص 36)، حيث صدر شمال الصحراء لجنوبها منتجات متنوعة مثل الخيول والملح والتمور والمجوهرات والنحاس والصمغ العربي ثم الأقمشة الفاخرة والسكر وكذا الكتب والأفكار في حين استورد الذهب والعبيد وريش النعام ثم التوابل والحبوب والمخدرات Nazarena Lanza, 2011, Karthala, p 22 ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المراكز التجارية تواجدت في كل من بلاد السودان وبلاد المغرب على حد سواء واختلفت أهمية كل مركز حسب العديد من المعطيات خاصة السياسية والجيوتاريخية.

1 سجلماسة:

عرفت بلاد المغرب خلال العصر الوسيط ظهور العديد من المدن التي عرفت ازدهارا كبيرا بفضل علاقاتها التجارية مع بلاد السودان وأهم هذه المدن نجد مدينة سجلماسة التي استفادت من موقعها الاستراتيجي الرابط بين ضفاف الصحراء الكبرى، وفي هذا الصدد يقول عنها مؤلف كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار **"سجلماسة من أعظم مدن المغرب، وهي على طرف الصحراء لا يعرف في قبلها ولا غربها عمران بينها وبين غانة الصحراء مسيرة شهرين من رمال وجبال غير عامرة قليلة الماء"** (مجهول، 1985، ص 200-201) ونفس الشهادة تقريبا أوردها البكري عن هذه المدينة (أبو عبيد البكري، د.ت، ص 149)، أما عن تاريخ تأسيسها فهناك اختلاف في ذلك بحيث أورد صاحب الاستبصار أنها بنيت سنة 140هـ/757-758م من طرف مدرار بن عبد الله (مجهول، 1985، ص 201)، غير أن الحسن الوزان يرجع تاريخ تأسيسها إلى فترة سابقة عن دخول الاسلام للمنطقة إذ يقول: **"إن مؤسس هذه المدينة*** **حسب بعض مؤلفينا قائد روماني ذهب من موريطانيا فاحتل نوميديا بأسرها، ثم زحف شطر الغرب حتى ماسة، فبنى المدينة وسماها سجلوم ميسي لأنها كانت آخر مدن دولة ماسة، ولأنها كانت كالخاتم الذي يسجل نهاية فتوحاته، فحرف هذا الاسم بعد ذلك وتحول إلى سجلماسة"** (الحسن الوزان، د.ت، ص 127)، ومهما يكن من اختلاف حول تاريخ تأسيسها ومؤسسها إلا أن الأكيد هو أن هذه المدينة عرفت ازدهارا منذ تحولها إلى عاصمة المدراريين (حسن حافظي علوي، 1418هـ/1997م، ص 345)، كما كانت المدينة محط اهتمام كل القوى السياسية التي تعاقبت على حكم المغرب خلال العصر الوسيط لأهميتها الاقتصادية بدءا بالفاطميين الذين دخلوها سنة 195هـ، ثم استولى عليها المرابطون سنة 1054م والموحدون في نهاية القرن 12م دون عناء كبير ودون خسائر الأمر الذي يفسره الأستاذ العربي الرباطي بالطابع السلمي الذي ميز المدينة لتنوع سكانها وموقعها الغير الحصين (العربي الرباطي، د.ت، ص 94)، وعن أهمية مدينة سجلماسة وغناها اقتصاديا يقول ابن حوقل: **"وكانت القوافل تجتاز بالمغرب إلى سجلماسة وسكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديون الذين كانوا يقطعون ذلك الطريق، فهم وأولادهم وتجارتهم دائرة ومفردتهم دائمة وقوافلهم غير منقطعة إلى أرباح عظيمة وفوائد جسيمة**

* يقصد بها سلجماسة.

ونعم سابغة، قلما يدانيها التجار في بلاد الاسلام سعة حال..." (ابن حوقل، 1992، ص 65)، أما فيما يخص المواد التي كان يتم تداولها بشكل كبير داخل هذه المدينة فهي القمح، التمار المجففة، أنواع التمور، الزبيب، المنسوجات، النحاس المصنوع، الملح (الحبيب الجنحاني، د.ت، ص 147).

هذا ويمكن تلخيص أهمية مركز سجلماسة التجاري في العلاقات الاقتصادية بين بلاد المغرب وبلاد السودان في الأدوار التي لعبها خلال العصر الوسيط بحيث:

- اعتبر كميناء تجاري تتجمع فيه البضائع الثمينة خاصة الذهب والرقيق (الحبيب الجنحاني، د. ت، ص 145).
- قام بدور الوسيط في التجارة عبر الصحراء شرقا وغربا وشمالا وجنوبا بعد أن أصبحت طريق مصر غير آمنة (العربي الرباطي، د.ت، ص 92).
- استخدم كنقطة انطلاق جديدة نحو السودان الغربي لتجار تاهرت الرستمية في القرن 3هـ (خالد بلعربي، يونيو 2010، دورية كان التاريخية، العدد، 08 يونيو 2010، ص 69).
- كان مركز حساس في التجارة العالمية آنذاك إذ أن جميع القوافل التجارية القادمة من مختلف بقاع الغرب الاسلامي والمتجهة إلى بلاد السودان أو العائدة منها كانت تمر من سجلماسة (الحبيب الجنحاني، د. ت، ص 145).
- عاشت في سجلماسة طائفة كبرى من اليهود والتي كان لها النصيب الأوفر في المبادلات التجارية بينها وبين بلاد السودان وغيرها من المناطق مثل مصر والهند (حاييم الزعفراني، 1987، ص 11).

2 تاهرت:

تواجدت هذه المدينة بالمغرب الأوسط وارتبط تأسيسها بمؤسس الدولة الرستمية عبد الرحمان بن رستم التي ستصبح عاصمة للرستميين نظرا لما شهدته من تطور اقتصادي وحضاري (خالد بلعربي، 2010، ص 68) بحيث كانت إحدى أهم محطات شمال الصحراء التي تصلها تجارة الذهب السوداني والذي كان سببا

في قدوم عناصر مختلفة للاستقرار بتاهرت من المشرق خاصة (أحمد عزاوي، 2012، ص 127) مما يفسر أهمية هذا المركز بالنسبة للتجار الوافدين إليها.

3 غدامس:

تواجدت هذه المدينة في موقع هام أهلها لتكون رابطا بين شمال وجنوب الصحراء ولعل شهادة صاحب الاستبصار خير دليل على ذلك إذ تحدث عنها قائلا: **"مدينة لطيفة قديمة أزلية وإليها ينسب الجلد الغدامسي... ومن غدامس يدخل إلى تادمكة وغيره من بلاد السودان"** (مجهول، 1985، ص 145-146)، غير أنها تضررت من تحول الطرق التجارية الصحراوية نحو الغرب خلال القرن العاشر ميلادي (حسن حافظي علوي، 1418هـ/1997م، ص 227).

4 أودغست:

تجدر الاشارة في البداية إلى أن هذه المدينة اندثرت حاليا وكان يجهل موقعها وحتى جغرافيو القرن 3هـ لم يحددوا موقعها رغم المعلومات التي أوردوها عن غناها وأهميتها في التجارة الصحراوية، وقد ظل الوضع على ما هو عليه حتى سنة 1949 عندما توصلت الدراسات الغربية بعد التنقيبات التي أجريت بعين المكان إلى تحديد موقعها إما جنوب ركيز أو في أفولي، (فاطمة بلهواري، ديسمبر 2010، ص 33)، وقد تحدث ابن حوقل عن أودغست واصفا إياها **"بأنها مدينة لطيفة أشبه ببلاد الله بمكة وبمدينة الجرزوان..."** (ابن حوقل، 1992، ص 91)، وقد كانت المدينة عاصمة لصنهاجة في القرن 4هـ ثم استولت عليها مملكة غانة، ولكن الملثمون استطاعوا استعادتها في حركة المرابطين الأولى بقيادة عبد الله بن ياسين (عصمت عبد اللطيف دنرش، 1408هـ/1988م، ص 157) مما يؤكد أهمية هذه المدينة بالنسبة للقوى السياسية بالمنطقة.

5 تنبكتو:

إلى جانب اسم المدينة الأصلي "تنبكت" أطلق عليها العديد من الأسماء مثل "المدينة المقدسة" "المدينة البهية" "المدينة الأسطورية" و"جوهرة الصحراء" (عبد الحميد جنيدي، يونيو 2012، ص 112) ولعل خير تفسير لتعدد أسمائها هو أهميتها لدى ساكنيها أو زوارها الذين ربما أعجبوا بها لدرجة أنهم اطلاق هذه المواصفات الكثيرة عنها، أما من حيث نشأتها فقد اختلف حوله حيث ذكر عبد الرحمان السعدي أنها

نشأت على أيدي توارق مقشرن في أواخر القرن 5هـ (عبد الرحمان السعدي، 1981، ص 20) والتي أصبحت فيما بعد سوقا مهما للتجار والقوافل، أما الأستاذ الحسين عماري فقد أورد أنها تأسست في القرن 7هـ/13م (الحسين عماري، شتنبر 2010، ص 37)، في حين تحدث الحسن الوزان على أنها من تأسيس ملك يدعى منسى سليمان عام 610هـ على بعد نحو اثني عشر ميلا من أحد فروع النيجر، (الحسن الوزان، د. ت، ص 165)، وذكر بأن سكانها أغنياء مترفون لاسيما الأجانب المقيمين فيها، غير أن الملح قليل جدا لأنه يستورد من تغزة البعيدة عن تنبكتو (الحسن الوزان، د. ت، ص 166)، وكان لموقع المدينة المتواجد على الحافة الجنوبية للصحراء أن تحولت إلى محطة للقوافل التجارية واعتبرت بمثابة همزة وصل بين شمال الصحراء وجنوبها (عبد الحميد جنيدي، يونيو 2012، ص 116)، ولعل هذا أكبر دليل على أهمية تنبكتو في العلاقات الاقتصادية بين الغرب الاسلامي وبلاد السودان، كما استفادت المدينة من هذه العلاقات بحيث ازدهرت المدينة اقتصاديا وحضريا حيث تضمنت الأسواق مثل السوق الكبير المسمى يوبو-بار بالإضافة إلى المخازن والمستودعات وأحياء الأجانب المقيمين بها والعديد من الحوانيت والأوراش الصناعية (الحسن الوزان، د. ت، ص 115).

6 جني:

أسست هذه المدينة على نهر النيجر في منتصف القرن 2هـ/800م، وازدهرت في عهد المرابطين بسبب تأمين الطرق التجارية وانتشار الأمن، واشتهرت بأنها سوق عظيمة من أسواق المسلمين يلتقي فيها التجار من جميع البلاد (عصمت عبد اللطيف دنرش، 1408هـ/1988م، ص 161-162)، وقد تحدث عنها السعدي قائلا **"هي مدينة عظيمة ميمونة مباركة ذات سعة وبركة ورحمة... وفيها يلتقي أرباب الملح من معدن تغازا وأرباب الذهب، فوجد الناس بركتها في التجارة إليها كثيرا وجمعوا فيها من الأموال ما لا يحصيه إلا الله سبحانه ومن أجل هذه المدينة المباركة يأتي الرقاق من جميع الآفاق"** (عبد الرحمان السعدي، 1981، ص 12)، الأمر الذي يدفعنا إلى استنتاج مدى الأهمية الاقتصادية لهذه المدينة في التجارة الصحراوية خلال العصر الوسيط.

7 مراكز أخرى:

بالإضافة إلى المراكز التجارية المذكورة تواجدت مراكز تجارية أخرى كانت لها أهمية كبيرة لا تقل عن المدن الذكورة سابقا في العلاقات الاقتصادية بين الغرب الاسلامي وبلاد السودان مثل **تدسي** التي ارتبط بها العديد من تجار المغرب وبلاد السودان، ثم **تيوت** التي شكلت مدينة رئيسية في سهل سوس بالإضافة إلى **توات** التي أصبحت منذ القرن 14م نقطة انطلاق القوافل التجارية نحو بلاد السودان خاصة بعد تدهور سجلماسة (الحسين عماري، شتنبر 2010، ص 36)، و**أغمات** التي كانت مركزا للتجهز للصحراء (مجهول، 1985، ص 207) وكذا درعة ومراكش وفاس وتارودانت ونول لمطة التي كانت أهم نقطة تجارية تستغلها القوافل للاستراحة قبل التوغل في الصحراء (حسن حافظي علوي، 1418هـ/1997م، ص 230)، هذا في الضفة الشمالية للصحراء أما في الضفة الجنوبية فقد تواجدت أيضا مراكز تجارية أخرى لا تقل أهمية عن غدامس وتبنكتو وجني مثل مدينة تادمكة وغانة وكاغوا كاو التي شكلت مع تتبكتو محطة للقوافل التجارية ونقطة وصل بين المغرب وبلاد السودان (الحسين عماري، شتنبر 2010، ص 03).

ثالثا: عوامل ازدهار المراكز التجارية الرابطة بين بلاد السودان والغرب الاسلامي.

إن ظهور العديد من المدن على ضفتي الصحراء الكبرى بكل من بلاد المغرب وبلاد السودان خلال العصر الوسيط وتحولها إلى مراكز تجارية مهمة وتنشيطها للعلاقات التجارية بين المجالين طيلة العصر الوسيط، يدفعنا إلى البحث عن العوامل التي ساهمت في ازدهارها وتحولها إلى جسر ربط بين ضفتي الصحراء اقتصاديا وثقافيا.

1 العامل الجغرافي / الطبيعي:

تجدر الاشارة في البداية أنه لا يمكن لدارسي التاريخ إغفال المعطى الجغرافي في تطور أحداث التاريخ خاصة في موضوع كالذي نحن بصدد الاشتغال عليه إذ أن الجغرافيا تؤثر في تطور المجتمعات اقتصاديا وثقافيا لذا ارتأينا الحديث عن هذا العامل لإبراز دوره في ازدهار مراكز تجارية معينة وأفول مراكز أخرى.

اعتبرت الصحراء غالبا كفاصل طبيعي بين بلاد المغرب وبلاد السودان حيث وصفها الحسن الوزان بأنها "**شديدة الجفاف ووعرة، تبتدئ عند المحيط غربا وتمتد شرقا إلى ملاحات تغزة، وتنتهي شمالا في تخوم**

نوميديا... لا يوجد فيها ماء إلا على مسافة كل مائة أو مائتي ميل، بالإضافة إلى أنه مالح مر في آبار عميقة جدا، خصوصا في الطريق المؤدية من سجلماسة إلى تنبكتو، وفي هذه الصحراء عدد كبير من الوحوش والحيات" (الحسن الوزان، د. ت، ص 165)، ويستشف من كلام الوزان أن الصحراء كانت تحمل العديد من المخاطر أهمها ندرة المياه ووعورة المسالك واحتوائها على العديد من الحيوانات القاتلة الأمر الذي أهل المراكز التجارية المتواجدة على ضفتيها بأن تلعب دورا أساسيا في تقديم كل الحاجيات التي تحتاجها القوافل للتزود بها عند اجتيازها لهذه الصحراء من مؤن وماء ومرشدين وأماكن لتخزين المنتوجات وغيرها من الخدمات الأخرى.

وعن دور العامل الطبيعي في ازدهار بعض المراكز التجارية نعود إلى ابن حوقل الذي أورد في كتابه صورة الأرض نصا في غاية الأهمية إذ تحدث عن استفادة مدينة سجلماسة من الرياح والعواصف الرملية التي كانت تعترض القوافل التجارية الرابطة بين مصر وغانة، **"وفيها الطريق من مصر إلى غانة فتواترت الرياح على قوافلهم ومفردتهم، فأهلكت غير قافلة وأتت على غير مفردة، وقصدهم أيضا العدو فأهلكهم غير دفعة، فانتقلوا عن ذلك الطريق وتركوه إلى سجلماسة"** (ابن حوقل، 1992، ص 65).

2 العامل السياسي:

إن عودة سريعة إلى تاريخ تأسيس بعض المراكز التجارية الموجودة على ضفاف الصحراء خاصة مدينة سجلماسة وتاهرت كفيلة باستنتاج أهمية العامل السياسي في نشأتها وكذا تطورها اقتصاديا، كما أن تأسيس مدن جديدة في بلاد المغرب تقوم في الغالب على حساب مدن أخرى فقدت أهميتها الاقتصادية لأسباب سياسية مما ينعكس على أنشطتها الاقتصادية، فمثلا تاهرت كانت مركزا تجاريا وزراعيا ورعويا مهما في القرن 3هـ/9م لكن عندما فقدت مكانتها السياسية بعد انهيار الإمارة الرستمية على يد الفاطميين تراجعت مكانتها التجارية لصالح مدن أخرى (فاطمة بلهواري، 2008، صص 61-82)، وفي الضفة الجنوبية للصحراء فقد تغيرت المراكز التجارية حسب الأحوال السياسية في بلاد السودان فبعد ضعف غانة وتغلب مالي عليها ظهرت مراكز تجارية جديدة استفادت من هذا التغيير مثل تنبكتو التي تحولت إلى مركز تجاري رئيسي للتجار القادمين من سجلماسة ودرعة وسوس وفاس ومراكش وتوات وفزان وغدامس ومصر،

كما أصبحت مدينة كاغ مركزا تجاريا هاما بعد تحولها إلى عاصمة لمملكة السنغاي (ابن حوقل، 1992، ص 65).

هذا وقد لعبت القوى السياسية في بلاد المغرب دورا كبيرا لا يمكن التقليل منه في تشجيع القوافل الصحراوية للاتجار مع بلاد السودان مثل الرستميين والمدراريين والفاطميين والمرابطين وكذا الموحدين والمرينيين.

3 العامل الأمني:

كانت القوافل التجارية العابرة للصحراء تحمل سلعا ثمينة يتم ترويجها في مختلف المراكز التجارية بكل من الغرب الاسلامي أو ببلاد السودان مما يعني أنها كانت محط أطماع قطاع الطرق والثائرين على السلطة السياسية المتحكمة في هذه المراكز الأمر الذي كان يفرض على القائمين على هذه المراكز توفير الأمن للقوافل التجارية، كما أن هذا العامل كان يؤدي في حالات كثيرة إلى تغيير مسار اتجاه القوافل التجارية وبالتالي استفادت عدة مراكز من هذا العامل في حين تضررت مراكز تجارية أخرى منه، لذا كان من بين الاعتبارات التي يتم التركيز عليها في هذه الرحلات التجارية هو اختيار الطريق المناسب للرحلة لتجنب قدر الإمكان الأخطار المحفوفة بهذه المسالك (جان دفيس، 1997، ص 408)، ولعل نص ابن حوقل لخير شاهد على ذلك إذ يقول: "...**وقصدهم العدو فأهلكهم غير دفعة، فانتقلوا عن ذلك الطريق وتركوه إلى سجلماسة**" (ابن حوقل، 1992، ص 65)، هنا يتبين بوضوح كيف أن انعدام الأمن في بعض مسالك القوافل كان يؤدي إلى تغيير اتجاهها مما جعل بعض المراكز التجارية تستفيد من هذا الوضع الجديد.

بالإضافة إلى العوامل المذكورة آنفا هناك عوامل أخرى تتمثل في تقدم النظم النقدية وتطورها بهذه المراكز وتطور الفلاحة والصناعة ثم عوامل أخرى تتعلق بالأطراف الأخرى للتجارية الخارجية (جودت عبد الكريم يوسف، د.ت، ص 198) التي كانت في حاجة ماسة لهذه المراكز التجارية لما تتوفر عليه من منتوجات هي في أمس الحاجة إليها.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

خاتمة :

ختاما يمكن القول بأن الازدهار الكبير الذي عرفته العلاقات الاقتصادية بين بلاد السودان والغرب الاسلامي خلال العصر الوسيط يعود الفضل فيه بالدرجة الأولى إلى المراكز التجارية المنتشرة على أطراف الصحراء الكبرى وإلى حاجة كلا المجالين لبعضهم البعض نظرا لتحقيق التكامل الاقتصادي، كما أن هذه المراكز التجارية هي الأخرى استفادت من هذه العلاقات الاقتصادية والرواج التجاري للتطور والازدهار ودليلنا في ذلك تراجع العديد من هذه المدن وأفولها واندثارها بعد تحول الطرق التجارية نحو المدن الساحلية المطلة على المحيط الأطلنطي بسبب سيطرة الأوربيين على التجارة العالمية والإفريقية خاصة بعد الاكتشافات الجغرافية، من هنا يمكن القول إن العلاقات الاقتصادية بين بلاد السودان وبلاد المغرب ما كانت لتصل إلى ما وصلت إليه لولا هذه المراكز التجارية كما أن هذه الأخيرة ما كانت لتتواجد وتزدهر لولا هذه العلاقات التجارية بين أطراف الصحراء الكبرى خلال العصر الوسيط.

كان ازدهار المراكز التجارية المترامية على أطراف الصحراء وما مثلته من أهمية بالنسبة للعلاقات التجارية بين بلاد السودان وبلاد المغرب بفضل عوامل عديدة منها ما هو طبيعي حيث استفادت هذه المراكز من موقعها على أطراف الصحراء لتلعب دور الوسيط أو مرفأ للقوافل التجارية العابرة لها، وآخر أمني نظرا للأخطار التي كانت تواجه عابري الصحراء، وعامل سياسي حيث عملت القوى السياسية المتعاقبة على الحكم بالمنطقة على مراقبة هذه المراكز وتنظيمها لما لها من أهمية اقتصادية، بالإضافة إلى العامل الاقتصادي (التكامل الاقتصادي) ثم العامل الثقافي والديني.

CONCLUSION

In conclusion, it can be said that the significant prosperity witnessed in the economic relations between Sudan and Maghreb countries during the Middle Ages can primarily be attributed to the trading centers scattered on the outskirts of the Sahara Desert and the mutual need of both regions for economic integration. These trading centers also benefited from these economic relations and commercial activities, as evidenced by the decline and disappearance of many of these cities after trade routes shifted towards coastal cities overlooking the Atlantic Ocean due to European control over global and African trade, especially after geographical discoveries.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

Therefore, it can be argued that the economic relations between Sudan and Maghreb countries would not have reached the level they did without these trading centers, and these centers would not have existed and thrived without the commercial relations between the outskirts of the Sahara Desert during the Middle Ages.

The prosperity of the interconnected trading centers on the outskirts of the desert and their significance for the commercial relations between Sudan and Maghreb countries can be attributed to several factors. Firstly, the geographical advantage of these centers located on the outskirts of the desert allowed them to serve as intermediaries or harbors for trans-Saharan trade caravans. Secondly, the security factor played a role due to the dangers faced by desert travelers. Thirdly, the political factor, as successive political powers in the region worked on monitoring and organizing these centers due to their economic importance. Additionally, the economic factor (economic integration) followed by the cultural and religious factors played a role.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1) ابن حوقل أبي قاسم بن حوقل النصيبي، (1992)، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
2) أبو عبيد البكري، (د.ت)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة.
3) الحسن الوزان بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي، (د.ت)، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، الطبعة الثانية، ج2.
4) عبد الرحمان السعدي، (1981)، تاريخ السودان، مطبعة أمريكا والشرق، باريس، نشر المدرسة الباريسية لتدريس اللغات الشرقية.
5) مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، (1985)، نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء.

المراجع:

1) أحمد عزاوي، (2012)، مختصر في الغرب الإسلامي، ربا نيت، ديور الجامع، الرباط، الطبعة الثالثة، الجزء الأول.
2) الحبيب الجنحاني، (د.ت)، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار، كلية الآداب، الجامعة التونسية.
3) جان دفيس، (1997)، التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثالث، أفريقيا من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر، إشراف م. الفاسي – إ. هربيك، اليونسكو، حسيب درغام وأولاده – المكلس، لبنان، الطبعة الثانية.
4) جودت عبد الكريم يوسف، (د.ت)، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3هـ و4هـ/10م، ديوان المطبوعات الجامعية.
5) حاييم الزعفراني، (1987)، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، الطبعة الأولى، الدار البيضاء.
6) حسن حافظي علوي، (1418هـ/1997م)، سجلماسة وإقليمها في القرن 8هـ/14م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
7) عصمت عبد اللطيف دنرش، (1408هـ/1988م)، دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا 430-515هـ/1038-1121م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

المجلات:

1) إبراهيم محمد أحمد بلولة، فبراير (2005)، الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية، دراسات دعوية، العدد 09، صص. 64-98.

2) الحسين عماري، (شتنبر 2010)، العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي في بداية العصر الحديث من خلال كتاب وصف إفريقيا، دورية كان التاريخية، العدد 09، صص: 34-40.
3) الحسين عماري، (2009)، الزوايا كقناة للتواصل التجاري والثقافي والروحي بين المغرب وبلاد السودان خلال العصر الحديث وبداية المعاصر، مجلة أمل، العدد 35.
4) خالد بلعربي، (يونيو 2010)، العلاقات التجارية بين الدولة الرستمية والسودان الغربي (160-296هـ) / (880-909م)، دورية كان التاريخية، العدد 08، صص: 67-82.
5) خالد بلعربي، (2011)، تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15، صص: 35-40.
6) عبد الحميد جنيدي، (يونيو 2012)، مدينة تنبكت (تنبكتو): نشأة المدينة وتطورها، دورية كان التاريخية، العدد 16، صص: 111-119.
7) عبد الرحمان قدوري، (ديسمبر 2015)، الجذور التاريخية للعلاقات المتبادلة بين شمال وغرب إفريقيا، الساورة للدرسات الإنسانية والاجتماعية، العدد الأول، صص. 41-51.
8) فاطمة بلهواري، (2008)، التبادل التجاري بين مدن بلاد المغرب خلال القرن 4 هـ/10م، إنسانيات، العدد 42، صص. 61-82.
9) فاطمة بلهواري، (ديسمبر 2010)، العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال القرن 4هـ/10م، دورية كان التاريخية، العدد 10، صص: 31-37.
10) هشام بلمسحة، (أكتوبر 2020)، جوانب من العلاقات الثقافية بين المغرب السعدي والسودان الغربي، مجلة ليكسوس، العدد 35، صص. 29-41.

المراجع باللغات الأجنبية:

1) Desanges Jehan. (3e trimestre 1975), L'Afrique noire et le monde méditerranéen dans l'Antiquité (Éthiopiens et Gréco-romains). In: Revue française d'histoire d'outre-mer, tome 62, n°228, pp. 391-414.
2) Nazarena Lanza. (2011), LIENS ET ECHANGES ENTRE LE MAROC ET L'AFRIQUE SUBSAHARIENNE : Eléments pour une

perspective historique. Michel Peraldi. D'une Afrique à l'autre. Migrations subsahariennes au Maroc, Karthala, pp.21-35.

المواقع الالكترونية:

العربي الرباطي، سجلماسة مركز القوافل التجارية، ص. 94، مقال مأخوذ من الموقع الالكتروني التالي: http://catch1000.blogspot.com/2015/03/blog-post_52.html، بتاريخ: 15 ماي 2022.

Bibliography List:

Books:

1. Abd al-Rahman Al-Saadi, (1981), history of Sudan, American and Oriental Press, Paris, publishing the Parisian school for teaching Oriental Languages.
2. Abu Obaid Al-Bakri, (Without a date), Morocco is mentioned in the mention of African countries and Morocco and is part of the book of tracts and kingdoms, the House of the Islamic book, Cairo.
3. Ahmed Azzawi, (2012), abridged in the Islamic West, Rabat net, Dior al-Jama'a, Rabat, third edition, part II.
4. Al-Habib Al-janhani, (Without a date), economic and social life in the capital city of Beni madrar, Faculty of Arts, Tunisian University.
5. Al-Hassan al-Wazzan bin Muhammad al-Wazzan Al-Fasi, known as the African lion, (Without a date), description of Africa, translated by Muhammad Haji and Muhammad Al-Akhdar, Dar Al-Gharb al-Islamiyya, second edition, Part II.
6. Anonymous, (1985), clairvoyance in the wonders of cities, published and commented by Dr. Saad Zaghloul Abdel Hamid, Moroccan publishing house, Casablanca.
7. Chaim zaafarani, (1987), a thousand years of Jewish life in Morocco, translated by Ahmed Shahlan and Abdelghani Abou El Azm, first edition, Casablanca.
8. Hassan Hafidi Alawi, (1997), registered a diamond and its territory in the 8th century AH / 14 ad, Ministry of Awqaf and Islamic Affairs.
9. Ibn hawqal Abi Qasim Ibn hawqal Al-nusaybi, (1992), the image of the Earth book, publications of the life Library House, Beirut, Lebanon.
10. Ismat Abdellatif denersh, (1988), the role of the Almoravids in spreading Islam in West Africa 430-515 Ah/1038-1121 Ad, Dar Al-Gharb al-Islamiyya, Beirut, Lebanon, First Edition.
11. Jean Davis, (1997), trade and trade routes in West Africa, General History of Africa, Volume III, Africa from the seventh to the eleventh century,

supervision of M. M. Al-Fasi-e. Hrabek, UNESCO, Hasib Dargham and sons - Al-mukallis, Lebanon, second edition.
12. Joudet Abdelkarim Youssef, (Without a date), the economic and social conditions in the middle Maghreb during the 3rd and 4th centuries/ 9th and 10th AD, the Bureau of university publications.

Journal article:

13. Abdel Rahman Kadouri, (December 2015), the historical roots of mutual relations between North and West Africa, Al-Saura for humanitarian and social studies, the first issue, P. 41-51.
14. Abdelhamid Juneidi, (June 2012), the city of tanbuktu (tanbuktu): the emergence and development of the city, Cannes historical periodical, No. 16, pp. 111-119.
15. Desanges Jehan, (3rd quarter 1975), Black Africa and the Mediterranean world in Antiquity (Ethiopians and Greco-Romans). In: French journal of overseas history, volume 62, n°228, pp. 391-414.
16. Fatima belhouari, (2008), commercial exchange between the cities of the Maghreb during the 4th century AH/10th AD, Insaniyat, No. 42, p. 61-82.
17. Fatima belhouari, (December 2010), commercial relations between the Maghreb and the western Sudan during the 4th/10th century, Cannes historical periodical, No. 10, pp. 31-37.
18. Hisham belmsaha, (October 2020), aspects of cultural relations between Saadian Morocco and western Sudan, Lexus Magazine, Issue 35, p. 29-41.
19. Hussein Amari, (2009), Zawiya as a channel for commercial, cultural and spiritual communication between Morocco and Sudan during the modern era and the beginning of the contemporary, Amal magazine, No. 35.
20. Hussein Amari, (September 2010), commercial relations between Morocco and western Sudan in the early modern period through the book description of Africa, Cannes historical periodical, No. 09, pp. 34-40.
21. Ibrahim Mohammed Ahmed bulwala, (February 2005), migrations and trade caravans across the Sahara and their impact on the spread of Islam and Islamic Civilization, daawa studies, issue 09, p. 64-98.
22. Khaled belarabi, (June 2010), commercial relations between the rustamite state and western Sudan (296-160 Ah) / (880-909 ad), Cannes historical periodical, No. 08, pp. 67-82.
23. Khaled Belaarabi, (2011), trans-Saharan caravan trade in the Middle Ages, Journal of oases for research and studies, No. 15, pp. 35-40.
24. Nazarena Lanza, (2011), LINKS AND EXCHANGES BETWEEN MOROCCO AND SUB-SAHARAN AFRICA: Elements for a historical

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

perspective. Michel Peraldi. From one Africa to another. Sub-Saharan Migrations in Morocco, Karthala, pp.21-35.

Internet websites:

25. Arabi Rabati, registration of the diamond of the caravan Trade Center, P. 89-104. An article taken from the following website: http://catch1000.blogspot.com/2015/03/blog-post_52.html, dated: May 15, 2022.

مجلة الحكمة للدراسات والأبحاث المجلد 03 العدد 03 (13) 2023/09/30
ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

The importance of business centers in economic relations Between Maghreb country and Sudan Country

Abdelali El Mebtoul
PhD research student, History and Heritage Laboratory.
Faculty of Humanities and Social Sciences, Ibn Tufail University, kinetra, Morocco.
abdelali.elmebtoul@uit.ac.ma
Dr. Hamid Elfatihi
Faculty of Humanities and Social Sciences, Ibn Tufail University, kinetra, Morocco.
hamid.elfatihi@uit.ac.ma

Abstract:

The multi-faceted connection between North Africa and Sub-Saharan Africa since very ancient historical periods has led to the transformation of the Sahara Desert separating them into a bridge linking these two geographical areas. These relations will flourish and develop greatly during the Middle Ages, especially economic relations, thanks to the emergence of many cities on the two edges. The northern and southern Sahara, which will be transformed into commercial centers, helped all those involved in trade exchanges between the Maghreb and Sudan during the Middle Ages. The emergence of these centers was due to several factors, including what is geographical and what is economic, as well as what is political and security.

Keywords: Maghreb countries - Sudan countries - commercial centers - economic relations.